كنوز الحكمة

مزمور 1:137 - 9

- **الدرس الستمئة والثالث والأربعون**

انتهينا في السابق من التأمل بمزامير المصاعد حتى نهاية المزمور المئة والرابع والثلاثين. المزمور المئة والثاني والثلاثون يتحدث عن الثقة في مواعيد الله ويبين أهميةَ الإيمان. ثم تأملنا في مزمور الشركة المئة والثالث والثلاثين. كانت تجربة المغتربين مُفرحةٍ أن يكونوا مع اخوتهم ليعبدوا الله معاً.

في المزمور المئة والرابع والثلاثين يقف المغترب في الهيكل ويرفعُ صوته تسبيحاً مع الجماعة. فهذه هي الآمين الختامية العظيمة، يقف أمام القدس رافعاً يديه مباركاً الرب. بعد ذلك بدأنا نتأمل في مزامير التسبيح، وبدأنا بالمزمور المئة والخامس والثلاثين وهو دعوة عظيمة لتسبيح الله. في المزمور المئة والسادس والثلاثين يُسبِّحُ الكاتب رحمةَ اللهِ في خليقته وفدائهِ ومحاربته لأعدائه. لدى الرب الكثير من الرحمة، فهي لن تنفذَ منه أبداً. وكم نحتاج إلى الرحمةِ من عند الله، وهو غنيٌّ بها. لأن الى الأبد رحمتــَه.

نأتي الآن الى المزمور المئة والسابع والثلاثين. قراءة سفر المزامير تُشبه قيادةَ عربةٍ في قلب الريف، وأثناء مرورنا فيه يمكننا أن نرى المناظر الجميلة والخلاّبة على كلا الطرفين. وبداية كلِّ مزمور هي مثل الوصول إلى تقاطعٍ للطرق، وقلّما ننتبه إلى إشارات المرور الموجودة هناك فنستمر بنفس السرعة ولا نلحظُ أيّةَ اختلافات، حيث إشارات المرور متشابهة على كلا الطرفين. هذا صحيحٌ وخاصة بعد أن تركنا مزمور 119. ولكن أثناء سيرنا نواجَهُ بمزمور 137 حيث علينا أن نُبطئ لنرى إشارات المرور المضيئة التي تقول: قف - انظر - استمع.

كمقدمة لهذا المزمور سنبدأ بأول إشارة والتي تقول: قف. يــُصنَّفُ هذا المزمور على أنه مزمور انتقاميّ، أي يُعلنُ لعنةً ويحوي صلاةً انتقامية. يقول العدد الأخير منه: " طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!" عبارات صعبة جداً أليس كذلك!! يتجاوب الناس مع هذا المزمور بعدّة طرق. النقّاد المتحررون يرفضونه ويُنكرون وجودّه في الكتاب المقدس. وبالطبع، فإنّ أسلوب الناقد المتعالي هو أنه يقبلُ ما يحلو لــه من الكتاب ويرفض ما لا يجده مناسباً. فهو بهذا مثل الطفل القروي البسيط الذي قام بشراء بقرةٍ، ولكنه بعد أن اشتراها علم أن إطعامها يُكلّفه المال في نفس الوقت الذي يأتي حليبها لــه بالمال. لذلك قرر الصبي الاهتمام بأخذ الحليب دون أن يأبَهَ بإطعامها لكي يربح أكثر. ولقد كانت النتيجة - كما نتوقّع - أن ماتت البقرة. هكذا هم النقّاد المتعالون، يقبلون ما يريدون ويرفضون ما لا يعجبهم. ولكن هذه الفلسفة غيرُ مُقنِعةٍ ولا تحلُّ المشكلة مُطلقاً.

هناك آخرون يقولون: " أنا أؤمن بالكتاب المقدس من الغلاف إلى الغلاف " - ولكنهم يجهلون المحتوى بين الغلافين! ولهذا السبب يُدعى بعض المُحافظين بغير المُثـقّفين. فالكثير من المحافظين يدّعون الإيمان في الكتاب المقدس ولكنهم يجهلون ما يحوي هذا الكتاب. هذا هو سبب تركيزي على تعليم كلمة الله. فأنْ تقولَ إنّك تؤمن بها شيْ؛ ولكن أن تعرف ما تحويه شيءٌ آخر. هذا يقودنا إلى وجهة النظر الثالثة في الموضوع. وهي أن تؤمنَ في الكتاب المقدس من الغلاف إلى الغلاف وأن تحاول فهمَه. أي أن تحدد ما هو قصد الله وأن تكتشف فكره في تسجيل الأمور المعينة. أريدُ أن أعرفَ بماذا أؤمن وأن أستطيع الإجابة عن سبب الرجاء الذي فيَّ. بهذا الموقف، دعنا نأتي إلى مزمور 137. فمع أنه يبدو مروّعاً للوهلة الأولى، إلا أنه يحتاج منا الى مزيد من التأمل لفهمه.

إشارة المرور الثانية تُخبرنا ليس فقط بأن نقفَ بل وأن ننظرَ أيضاً. وهذا لأن مزمور 137 يتعامل مع حقبةٍ

تاريخية في حياة الشعب القديم. فالأسفار التاريخية في العهد القديم لا تُسجِّلُ تاريخ إسرائيل خلال السبي البابلي مدّةَ سبعين سنة؛ فلا سِجِلَّ لفترة السبي تلك. نعم، تنبأ إرميا بخصوصها، ولكنه لم يذهب مع المسبيين إلى بابل. حزقيال كان في بابل ولكنه كان يتنبأ للمسبيين هناك، ولا يمكن لنا أن نعرِفَ أوضاع المسبيين إلا عن طريق الاستنتاج. فقد كان مُهتماً بالرؤى التي ظهرت لـه أكثر من اهتمامه بسرد التاريخ. كما كان دانيال أيضاً في بابل خلال تلك الفترة، ولكنه كان في القصر يتنبأ للحكام الأُمميين، وليس لدينا أية معلومات منه عن المسبيين. ففترة السبعين سنة من السبي البابلي هي فترةُ صمتٍ. فأسفار الملوك وأخبار الأيام تأتي بنا حتى السبي إلى بابل ودمار أورشليم. أمّا أسفار عزرا ونحميا وأستير فتكملُ القصةَ بعد السبعين سنة عند عودة المسبيين إلى أرضهم. لا تُذكَرُ أحداث فترة السبي لأنه حسب مخطط الله يتوقف الوقت عندما يكون شعبه خارج أرضه. ولهذا السبب فإن مزمور 137 ذو أهمية بالغةٍ إذ إنه يَعبُرُ بِنا فوق وادي الصمت هذا. فهو مثل محطّةٍ للوقوف عبر الطريق للتمتع بمناظرَ ليس لها مثيل. لا يمكننا أن نرى الكثير ولكننا نرى البعضَ من تلك الفترة.

الإشارة الثالثة في الطريق هي استمع. فهناك سؤالٌ يُسألُ في هذا المزمور: " كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ " (عدد 4). لا أظنُّ أنَّ لهذا السؤال إجابةً عند هذا الشعب. لا أظنُّ أنّ لهذا السؤال إجابةً عندنا اليوم إنْ لم نكن مُستعدّين للعمل وفق شروط معينة. كيف يمكن لنا أن نرنّم ترنيمة الرب في أرضٍ غريبة؟ يُسجّل مزمور 137 التجربة المأساوية لهذا الشعب خلال السبي مدّةَ سبعين عاماً. ستجدُ فيه كراهيةً مُرَّةً ومحبّةً عميقةً في الوقت ذاته. لنقرأ هذا المزمور المئة والسابع والثلاثين كاملاً..

عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ. 2عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا. 3لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ». 4كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ 5إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ، تَنْسَى يَمِينِي! 6لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ، إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي! 7اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا، هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا». 8يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! 9طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!

الموقع الجغرافي هنا هو في منتهى الأهمية - " عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ ". فقد مرَّ هذا الشعب بكل انواع العبودية من أرض مصر في القديم وحتى بابل. ولكن السؤال هو: ماذا كانوا يفعلون هناك؟ أصلاً، لم يكن مفروضاً بهم أن يكونوا هناك. فقد وَضَعهم الله في أرض الموعد ووعد بأن يُبقيهم هناك كشهودٍ لـه ما داموا يسلكون بالاستقامة معه. فماذا إذاً كانوا يفعلون هناك على أنهار بابل؟ أنهار بابل المقصودة هنا هي الفروع والقنوات. يبدو أن هذا الشعب هو الذي حَفَرَ القنوات النابعة من نهري دجلة والفرات في القديم. وقد كانت هذه القنوات تُستخدم لري الأراضي الزراعية. فلقد كانوا يحفرون من شروق الشمس إلى غروبها. " عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا ". يا لها من صورةٍ للرفض العميق واليأس. " هُنَاكَ جَلَسْنَا ". فماذا كان بوسعهم أن يفعلوا غير هذا؟ " بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ ". يا لليأسِ والحزن!

يا للفرق الشاسع بين أورشليم وبابل! فأورشليم تقع على موقع جميلٍ في التلال، وأما بابل فتقعُ على سهلٍ قحطٍ. والشعب ليس موجوداً هناك برغبته، ولكنه هناك لأن مدينته قد دُمِّرَت. هو هناك لأن البابليين غزوا مدينتهم وأخذوهم أسرى وسخّروهم للعبودية. هم الآن يحنّون إلى موطنهم " بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ ". فلماذا إذاً هم هناك؟ هم هناك لأنهم أخطأوا. كان النبي إرميا قد أخبرهم عن دمار أورشليم وعن سببهم. لم يختَرْ اللهُ شخصاً قاسياً ليعلنَ رسالةً قاسيةً. لقد اختار رجلاً بقلب امرأةٍ. يقول إرميا، " عيناي ينبوع دموع، فلقد كسرت هذه الرسالة قلبي". لقد أرسل اللهُ مثل هذا الرجل لكي يُعْلِمَهم بشعوره تجاههم. استمع إلى ما يقولـه في مراثي إرميا: " قَدْ أَخْطَأَتْ أُورُشَلِيمُ خَطِيَّةً، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ صَارَتْ رَجِسَةً " (8:1). نعم، الخطية هي سبب سبيهم الى بابل.

عدد 2 " عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا." لقد استبدلوا الترنيم بالنوح، علّقوا أعوادهم وقيثاراتهم على الصفصاف فهم لن يحتاجوها بعد الآن، بعد أن كانوا يسبّحون الله قبلاً هناك في الهيكل في أورشليم. واليوم، هناك الكثير من المؤمنين الذين علّقوا أعوادهم وقيثاراتهم على صفصاف الحزن. لقد فقدوا ترنيمتهم. هل فقدتَ ترنيمتك؟ قد تذكرُ الفرحَ الذي كانَ لك يومَ آمنتَ. هل فقدتَ ترنيمتك اليوم؟

عدد 3 " لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ»." لقد سَمِعَ شعب بابل عن ترنيم الشعب القديم. وعندما سُمِعَ بأنهم أُحضِروا إلى القنوات خارج مدينة بابل ووُضِعُوا تحت العبودية أصبحوا محطَّ أنظار الناس إذ رغبوا برؤيتهم. عندما أتى الزوّار إلى أورشليم وجدوا شعباً يعبدُ إلهاً حياً، لا تمثالاً أو صورةً ما، ويقتربُ منه على أساس الفداء وغفران الخطايا ويُرنّم التسبيحات لـه. لم يرَ الناس مثل هذا قط. ولقد انتشر خبر هذا في كلِّ العالم، حتى أن ملكة سبأ جاءت من أقصى الأرض عندما سمعت به، فهي لم تُصدّق ما سمعته وأرادت التأكد بنفسها. ولكن الآن الهيكل قد احترق وأورشليم دُمِّرت والشعب مُسَخَّرٌ تحت العبودية في بابل.

فعندما اجتمع هذا الشعب ليرنّموا ويسبّحوا الله كان العالم يسمع بذلك، وهذا ما أراده الله. والآن، بما أنهم أصبحوا مأسورين في بابل، جاء البابليون قائلين: " لنصعد ونستمع إلى حفلة موسيقية!" ولكن عندما وصلوا إلى مكان تجمّع الشعب وجدوا أعوادهم معلّقةً على الصفصاف وهم جالسون في حزنٍ عميق ينوحون بدلاً من أن يرنّموا. فاستهزأ البابليون بهم قائلين: رنموا لنا. فأجاب الشعب: عدد 4 " كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ "أجابوا بنحيب قائلين: " لقد فقدنا ترنيمتنا. أنتم تستهزئون بنا بطلبكم هذا. فصهيون بعيدة هناك في خرابٍ ورماد، ولا يمكن لنا أن نُرنّمَ إلا فيها. فكيف نرنّم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟" لم يستطيعوا أن يرنّموا، كما أن الله لم يطلب منهم أن يرنّموا في بابل. كان عليهم أن يرنّموا ترنيمات صهيون في صهيون نفسها. المؤمن اليوم هو غريب وسائح على هذه الأرض. قبل عدّة قرونٍ من ذلك الوقت كان الشعب القديم يسير في البرية تاركين عبودية مصر خلفهم وواضعين أرض الموعد أمام أعينهم. كان اللاويون في مقدّمة الشعب حاملين تابوت العهد وهم يرنّمون، ومباشرة خلفَهم كان سبط يهوذا والذي يعني " تسبيح ". فلقد ساروا في البرية والتسبيح على شفاههم. وهذه هي الطريقة التي يجب على المؤمن أن يسير بها في برية هذا العالم اليوم. فكلُّ مؤمن اليوم يجب أن يحمل ترنيمةً في قلبه. لم أقلْ ترنيمةً على شفتيه، لقد وضّح داود أنه علينا أن نُصدِرَ صوتاً فرِحاً للرب. علينا أن نُرنّم في أرضٍ غريبة، فلقد أعطانا اللهُ ترنيمة الفداء.

هناك عدة أسباب لفقدان الناس ترنيمتهم: أولاً هناك النزعة الطبيعية، أي العامل النفسي. يُخبرنا علماء النفس أن هناك بعض الأشخاص المرحين بطبيعتهم، أي تبقى البسمة على وجوههم بغض النظر عن الظروف. وبالمقابل هناك الأشخاص الذين تُسيطر عليهم الكآبة. فمثلاً يُعرّفُ الاسكتلنديون بتشاؤمهم بينما يتميز الشعب الأسود بفرحه وحيويته بالرغم من الظروف. جميل أن يكون الإنسان مرحاً ولكن هذا ليس عاماً على الجميع، فالبعض منا لا يشعر برغبة في الابتسام طوال الوقت، فنحن لسنا مصنوعين هكذا. السبب الثاني هو الفشل والإحباط الذي يُصيب الكثير من المؤمنين. فالحياة تُقدّم فرصاً مختلفة لأشخاص مختلفين. قد تعرفُ بعض المؤمنين الذين يعانون من المشاكل أكثر من غيرهم. فالبعض يبدو وكأنه يُصاب بسهام " سوء الحظ " أكثر من غيره. هناك عاملٌ ثالث يفقدُ الناسُ بسببه ترنيمتهم وهو الخطية. قد تذكرُ داود واعترافه العظيم المسجّل في مز 12:51 حيث صرخ، " رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ ". لم يفقد داود خلاصه أبداً ولكنه فقد بهجة خلاصه حتماً. وهذا ما سأل من الرب أن يردَّه إيّاه.

كُتِبَ عن الرب يسوع أنه رجلُ أوجاع ومُختَبر الحزن، ليس لأن طبيعته كذلك بل لأن " أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا " (أشعياء 4:53). لم تكن للرب أحزانه الخاصة، إذ لم يكن فيه خطية. فلقد جُعِلَ خطيةً من أجلنا وأصبح ذبيحة الخطية لنا حيث واجه بالكامل خطيتي وخطيتك.

إذاً، لماذا كان هذا الشعب على أنهار بابل؟ نستطيعُ أن نجيب الآن: لأنهم أخطأوا، لماذا فقدوا ترنيمتهم؟ لأنهم أخطأوا، والخطية تسرق منك ترنيمتك.

عدد 5-6 " إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ، تَنْسَى يَمِينِي! لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ، إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي!" وتحت استهزاء البابليين القائلين " هيّا، لنسمع أُغنيةً ما "، أجابوهم، " لا نستطيع أن نرنّم "، ثم قطعوا عهداً أمام الله قائلين، " لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ يا أورشليم. فأنا لن أنسى أورشليم أبداً أبداً أبداً". هذا هو شعاع الأمل المنبثق. هذه هي التوبة. هذا هو العهد بالولاء. فكأنهم يقولون: " سنطيعُ اللهَ الآن ونبغي السيرَ في إرادته. نريد العودة إلى أورشليم". وهذا هو اعترافهم " إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ...".

عدد 7 " اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا، هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا»." لقد كان الأدوميون، أعداؤهم القدامى، هناك عند سقوط أورشليم حيث وقفوا في صفّ بابل وهتفوا: " هُدُّوا أسوارها، حطّموا هذه المدينة الشريرة ". لقد تذكّر الشعب هذا، وهم يصرخون الآن طالبين العدالة. فهذه صرخةٌ للعدالة. ربّما ستقول: " ولكن ليست هذه هي الروح المسيحية ". أوافقك الرأي. ولكن هؤلاء الأشخاص كانوا تحت الناموس وليس تحت النعمة. كانوا تحت الناموس الذي وفَّرَ العدالة. قد نكون أسأنا فهم قصد ربّنا من على الصليب حين قال: " يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ " (لوقا 34:23). هل تظن أنه قصد غفران كلّ خطاياهم السابقة بهذه العبارة؟ إنْ ظننتَ ذلك، فأنت مُخطئٌ. فما يقولـه هنا هو: " يا أبتاه اغفر لهم خطيةَ صلبي فهم لا يعلمون ماذا يفعلون ". فهذا الجُرم لن يُحمَلَ ضدَّهم ولكنهم ما زالوا خطاةً، وعليهم أن يأتوا إلى الله كخطاةٍ - تماماً مثل شاول الطرسوسي الذي كان لا بُدَّ وأن يأتي إلى المسيح قابلاً غفران خطاياه.

الروح المسيحية هي ألاّ ننتقمَ لأنفسنا، ولكن هل هذا يعني أن نقفَ مكتوفي الأيدي حيال أي إساءة؟ لا، فما يقولـه الله لك ولي كمؤمنين هو: " هل جُرِحتَ وأُسِيءَ لك؟ لا تقم بالرّد. أُريدك أن تحوِّل الموضوع إليَّ وأنا سأتولّى الأمر. لي النقمة، أنا أُجازي". فالله يقول إنه لن يسكتَ على الموضوع. أترى عندما نحاول أن حلّ الأمور بطرقنا الخاصة نكون قد ابتعدنا عن مسيرة الإيمان وكأننا نقول: " يا رب أنا لا أثق بك في حلّ هذه المشكلة، سأحلها أنا بنفسي"، وكأننا نريد أن نسيء إلى الرب في المقابل. ولكن الله يقول: " أُسلك بالإيمان، حوّل الموضوع إليّ. أنا إله العدل." لا بدّ للعدالة وأن تنتصر.

مكتوبٌ عن ربّنا عندما يأتي مرةً أخرى: " أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ " (مزمور 7:45). لا يمكن لك أن تُحبّ البر دون أن تُبغض الإثم. لا يمكنك أن تُحبَّ الله دون أن تكره إبليس. لا يمكنك أن تُحبَّ ما هو مستقيم دون أن تكره ما هو خطأ ومعوّج. ما هو شعورك بالحقيقة تجاه الشر؟ هؤلاء المأسورون الجالسين على أنهار بابل كانوا في حزنٍ عميق، يطلبون من الله أن تسود العدالة.

عدد 8 " يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! "هذا ما يُسمّى بقانون " العقوبة " retribution. وهو مبدأ لا يزال يُطبّق على ابن الله اليوم. " لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا " (غلاطية 7:6). فهو لن يحصد نوعاً آخر، بل سيحصدُ نفس النوعية التي زرعها تماماً. وما يقولـه الشعب هنا هو: " ليحصُلْ يا رب معهم ما حصل معنا " الرب نفسه قال : " .... لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! " (متى 52:26).

والعدد الأخير من المزمور المئة والسابع والثلاثين يقول:" طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!" لقد جلس أبناء الشعب على أنهار بابل مرفوضين وحزانى، يُستهزأُ بهم ويُطلَبُ منهم أن يُرنّمَوا فيرفضون. يتذكّرون دمار مدينتهم المحبوبة وهيكل الله فتدورُ في فكرهم تلك الأحداث المريرة مرةً أخرى. جنديٌّ بابليٌّ يأتي إلى امرأة الحاملة طفلها العزيز وينزعه من أحضانها ويرميه على الصخرة فتتلطّخ الأرض بدماه! يتذكّرون هذا ويقولون: " سيفعل أحدهم بالبابليين هكذا إذ يوجد إلهٌ عادلٌ في السماوات". وهذا ما حصل فعلاً، فالتاريخ يُسجّلُ أن كورش الفارسي ومن خلال قائد جيشه فعل تماماً بالبابليين ما فعلوه هم بالشعب في أورشليم.

هل هذا المزمور هو للعصور المظلمة؟ هل انتهت صلاحيته في يومنا هذا؟ هل أصبحَ الإنسانُ مُتحضّراً ومُحبَّاً أكثر مما مضى لتصبحَ محتويات هذا المزمور غير مرتبطة بالواقع اليوم؟ تنشأ اليوم النزاعات على كلّ قارةٍ في أرضنا هذه. وأكثر المصابين نتيجةً لذلك هم الأطفال. فهمجيةُ الإنسان تجاه أخيه الإنسان تجعلُ من هذا المزمور مُعاصراً ليومنا هذا. وسيأتي يومٌ سيزيد فيه الشر لأقصى حدوده. أشكر الله لأنه يوجدُ إلهٌ عادلٌ وبارٌ في السماوات سيضعُ حدّاً للخطية يوماً ما. كما وأشكر الله لأنه إله رحمةٍ، ليس كالبشر. فالصليبُ يُعلنُ محبّته وقداسته؛ فلقد حمل مُخلِّصي خطيتي على نفسه. لأنه هكذا أحبّني الله حتى أرسلَ ابنه ليموت بدلاً عنّي، إذ لا بُدَّ لـه أن يدينَ الخطية.

آهِ كم هو رحيمٌ في عصر النعمة هذا، ولكن لا تسمح لهذا أن يخدعك – فهو أيضاً قدوسٌ وبار. وكل من لا يقبلُ المُخلِّص ويرفض النعمة والرحمة سيُدان. وهو لن يُقدِّم أعذاراً آنذاك إذ صَبَرَ علينا كثيراً جداً. فهل تمتّعتَ برحمته اليوم؟